الإسلام والمقاومة الإسلامية إلى أين ...؟؟

بقلم محمد يوسف عدس

التحدي الأمريكي الصهيوني الذي تقوده الولايات المتحدة وتقوم إسرائيل بنصيبها المرسوم فيه، في بلادنا العربية والاسلامية بذريعة محاربة الإرهاب كان من الممكن أن يستفزّ العقول والعزائم ويستنفر القوى الفاعلة والطاقات الكامنة االتي تزخر بها بلاد المسلمين على اتساع رقعتها وامتدادها في خريطة العالم .. ولكن مما يؤسف له حقا أن رد الفعل الطبيعي هذا لم تظهر بوادره بعدُ إلا قليلا .. وبدلا من ذلك رأينا استسلاما وخنوعا مذهلا .. ولهذا بطبيعة الحال أسباب حضارية .. وتاريخ طويل في التبعية السياسية والاقتصادية يكبّل الأنظمة والشعوب، أكثره معروف لنا بوضوح .. وقليل منه خافٍ علينا ...

قلت "إلا قليلا" وذلك لانه لا يستطيع منصف للحقيقة ان يتجاهل صمود الشعب الفلسطيني واستمراره في المقاومة رغم بشاعة العدوان وتصاعد التضحيات .. ولا أن يغمض عينه عن نجاح المقاومة الاسلامية في جنوب لبنان في طرد القوات الاسرائيلية .. ولا جموح الشعب الافغاني رغم ما اصابه من دمار وتشريد ورغم الغواية التي سقط فيها فصيل من أبناء النخبة الانتهازية يتمتعون الان بالسلطة في كابل .. كما سقط نظام الدكتاتور برويز مشرّف في باكستان ليصبحا معا ظهيرين للمخططات الإمبريالية في افغانستان .. وأخيرا لا يستطيع منصف ان ينكر أثر المقاومة العراقية للاحتلال الأمريكي فى إنهاء الحلم الإمبريالي وشل القوة الأمريكية التى كانت تظن أن سقوط العراق تحت أقدامها هو بداية التوسع والتمكين لسيطرتها على العالم .. لقد أخفقت أمريكا فى إحكام سيطرتها على أفغانستان والعراق، نعم لا أحد ينكر أن أمريكا قد نجحت فى تدمير أفغانستان وتدمير العراق .. وأنها وضعت العراق بالذات خمسين عاما إلى الوراء .. واستلّت منه القدرة على مجابهة إسرائيل أو أن يشكّل خطرا عليها فى المستقبل المنظور .. وربما

أهم من كل هذا أنها وضعت يدها على البترول العربي كله .. ولكنها خسرت أشياء ثمينة جدّا لا يمكن لأي إمبراطورية فى هذا العصر أن تستمر بدونها ...

لقد تمادت أمريكا فى الغطرسطة وإذلال كثرة من الشعوب حتى كرهتها الشعوب .. وتمادت فى الكذب وتلفيق الوقائع والإنكار .. وتمادت فى التفرّد باتخاذ القرارات المصيرية التى تمس سيادة دول أخرى ضاربة بالقوانين الدولية والمؤسسات الدولية عرض الحائط .. حتى فقد العالم إحترامه لها وثقته فى حكمتها وقيادتها .. وأهم من ذلك أنها فقدت إحترم حلفائها وثقتهم بها .. وقد بدأت هيمنتها وسيطرتها على العالم تتقلص بمعدّلات سرعة اكبر من كل التوقعات التى تنبّأ بها المراقبون والمحللون .. خصوصا بعد الأزمة المالية الخطيرة التى تسببت فيها بغبائها وسوء إدارتها لاقتصادها واقتصاد العالم ...

أعلم ان جبروت الامبريالية الامريكية تسانده آلة إعلامية طاغية لا تقل عنه شراسة وافتراءً وعدوانية، فقد دمغ الإعلام الامريكي حركات المقاومة الوطنية بالارهاب، مستدعيا في ذلك صورًا موحيةً وقوالبِ من الإتهامات مصنوعة بمهارة ، مستندًا إلى أحداث من صنع بعض الأغبياء الجهال أو من عمل جماعات مُخترقة من قِبل المخابرات الأمريكية والمحلية مثل عصابة أبو سياف في جنوب الفلبين التي قُدّمت الى العالم على أنها حركة إنفصالية تسعى الى اقامة دولة اسلامية مستقلة في جنوب الفلبين.. وهكذا اختزل الاعلام قضية المسلمين الحقيقية في الفلبين في عصابة سيئة السمعة لا علاقة لها بالإسلام ولا بجبهة مورو الوطنية أو الاسلامية اللتين تقاومان الغزو الإستيطانيّ الزاحف على مجتمعات المسلمين وسرقة أراضيهم .. توارت الحقيقة لتحل مكانها عصابة لخطف الرهائن وتحصيل الإتاوات التي تتقاسمها مع ضبّاط كبار في الجيش الفلبيني .. فهذا داء قديم ضارب في أعماق السلطة الفلبينية الفاسدة والجيش الفلبيني .. وهذا هو سر فشل الحملة الامريكية في القضاء على عصابة أبو سياف المتهمة بصلتها بالقاعدة .. لا يرجع الفشل هنا إلى قوة هذه العصابة .. ولكن لأن المقصود بها أن تبقى [موضوعة] أمام الرأي العام كنموذج كريه لكل الحركات الوطنية والإسلامية الجادة والشريفة التى هى الهدف الحقيقي وهى القوة الحقيقية التى تقف فى وجه التّمدّد الإمبريالي لأمريكا فى العالم .. أما المقاومة

الإسلامية الحقيقية فيجري التعتيم الإعلامي على أخبارها تماما .. كما يجري تصفية قيادتها بالغواية والتفرقة وعمليات التصفية الجسدية تقوم بها مليشيات سرية كاثوليكية مدربة ومدعّمة من قبل السلطات والجيش الفلبيني .. وعندما تفشل القوات المحلّية فى مهمتها تستنصر بقوة وخبرة وسلاح السيد الأمريكي ...

لم أضرب بالنموذج الفلبيني مثلا إلا لأنّى أرى فيه النموذج المتكرر فى كل بلاد المسلمين حيثما توجد أمريكا أو توجد إسرائيل .. ولا أستثنى من هذا فلسطين المحتلة .. فعندما فشلت سلطة (عباس وفيّاض وأبو قريع) فى القضاء على حكومة حماس .. أو تركيعها أو غوايتها أو تفريقها .. أو إجبارها على إنهاء مقاومتها للسيد الإسرائيلى ، وتسليم أسلحتها للعميل المحلّيّ والخضوع له .. إستنجد العميل المحلي بالسيد الإسرائيلي ليقوم بالمهمة الإجرامية بنفسه .. أرجو أن تلاحظ : أنه حتى فى التفاصيل الصغيرة .. عندما تبرز عقبة ما أو ظرف قهري طارئ يحرج العميل أويجد نفسه مجبرا أمام ثورة الرأي العام المحلي والعالمي على كسر الحصار وفتح الأبواب أمام القوافل القادمة لإغاثة المحاصرين فى قطاع غزة المنكوب .. يتذرع فى تبرير غيّه ومواصلة موقفه المشبوه الذليل بأنه يخشى على قوافل الإغاثة من تعرّضها لخطر القصف الإسرائيلي .. وهنا تأتيه النجدة لتعزز موقفه إذ تعلن إسرائيل فورا أن المعبر منطقة عسكرية ... لا حظ هنا أن التوجس المعلن جاء أولا من العميل ثم تلاه التهديد من السيد الإسرائيلي فى تناسق عجيب .. بينما المنطق الإنساني والحكمة السياسية الحقيقية تؤازره وتقول: دعْك من هذه المماحكات والتكهّنات وافتح الباب على مصراعيه .. دع قوافل الإغاثة تمرّ فإذا وصلت إلى أهدافها سالمة فلك أجر فى الدنيا وعشرة أخرى تزيد إلى سبعمائة أجر فى الآخرة .. لأنك ساهمت فى إطعام الأطفال والنساء الجوْعى وفى إنقاذ المرضى والجرحى الذين ينزفون .. أما إذا ركبت إسرائيل رأسها وقصفت قوافل الإغاثة الإنسانية .. فقد استبرأت لذمّتك أمام الله وأمام التاريخ وأمام شعبك وأمتك .. وباءت إسرائيل بالخزي وتحملت الوزر والتبعية أمام العالم .. وأضافت إلى جرائمها جريمة فاقعة .. وإلى سجلّها الإجرامي جريمة نكراء جديدة لعلها توقظ النائمين وتفتح أعين الواهمين وتمزق أستار الأباطيل التى تقتات عليها وتبثّها فى العالم صباح مساء ... لن تخسر

على أي حال إذا أقدمت على فتح المعابر .. اللهم إلا أن تكون متواطئا كما يزعم بعض الزاعمين ... !!

أعود لأقول: الحقيقة التى لا مراء فيها [عندى] أن الصورة العامة لأوضاع المسلمين واستخزاء حكوماتهم أمام الهجمة الامبريالية الصهيونية الراهنة صورة مأساوية ليس في أفقها بصيص من أمل ولا تبشر بانفراج قريب .. ولكن ليس معناه أن انسحاق الإسلام أمر لا مفر منه أو أنه واقع لا محالة كما يتوهم أعداء هذا الدين هنا وهناك وفى كل بقعة على هذه الأرض ...

ففي هذه الامة طاقات هائلة مغيّبة وفيها قدرات مكبّلة بأغلال سياسية واقتصادية وأمنية وقد آن الآوان لتحطيم هذه الأغلال .. من خلال مفاصلة حقيقية بين الشعوب وبين الانظمة الحاكمة التى يرتزق بعضها من قوى أجنبية .. وتستمد شرعيتها ووجودها من مساندة هذه القوى لا من شعوبها .. هذه المفاصلة هي أول خطوة لازمة لحشد طاقات الأمة وضبط حركتها في الاتجاه الصحيح لمواجهة التحدي والصمود أمام الهجمة الإمبريالية الصهيونية ...

وأزعم أن الإسلام هو الفكر الوحيد القادر على تحريك الشعوب المسلمة .. وبه فقط يمكن القيام بأي إصلاح حقيقي في العالم المسلم .. وقد تكون هذه مفاجأة لكثير من المثقفين الغارقين في وهم العلمانية والعولمة الأمريكية .. وفي تقديري أن هؤلاء المثقفين لم يقدّروا الإسلام حق قدره ولا أدركوا مكانته في قلوب وعقول الشعوب المسلمة .. فلندعهم فى وهمهم يعمهون ...!

ولكن الإمبرياليين الجدد يعرفون هذه الحقيقة ويدركون خطر الإسلام على مخططاتهم الاستعمارية .. من هنا كان حرصهم على استلال عناصره الفاعلة التى يتقوّم بها وجوده وحياته فهم يريدون إسلاما بلا جهاد ولا استشهاد ولا فاعلية فى المجتمع .. إسلام صامت ساكن فى المساجد أو فى المقابر وفى حلقات الذكر الفلكلورية الراقصة . ومن ثم وضعوا كل حركات المقاومة الإسلامية الفاعلة أو المسلحة على قائمة الإرهاب .. الذي ينبغى العمل على القضاء عليه .. بل ذهبوا أبعد من ذلك أشواطا كثيرة في محاصرة وتجفيف ينابيع الحركات الاسلامية غير المسلحة التي لا تعتمد الصدام أسلوبا في العمل السياسي و الاجتماعي .. أقصد على وجه التحديد حصارها

بالقوانين الإستثنائية، وبالتشويه الإعلامى الرسمي المضلّل .. وضرب مواردها المالية والإجتماعية .. ووضع السدود والحواجز بينها وبين جماهير الأمة المتعطشة إلى العدالة، الكارهة للفساد والاستبداد .. الغاضبة لإهدار الكرامة ونهب الثروة العامة وتزوير إرادة الشعب .. وأخيرا ممارسة السلطات الأمنية لعمليات إرهابية منظمة ضد أعضاء وقيادات هذه الحركات: بالإغارات الليلية على بيوتهم وترويع أسرهم وإلقاء القبض عليهم وإيداعهم السجون بدون إتهامات واضحة.. وإنما إستضافة تطول أو تقصر حسب المزاج الأمني .. ثم إخراجهم بلا محاكمات، بعد أن تكون الحملة الأمنية قد حققت أهدافها التى لا تخرج عن كونها : (1) عقوبات جماعية من طراز إسرائيلى .. (2) تخويف وحرمان الأسر والأطفال من حقهم فى الحياة الآمنة فى أحضان آبائهم خصوصا فى الأعياد الإسلامية والأيام المباركة .. (3) إشعار القيادات النشطة بأن سلطات الأمن متيقظة مفتّحة العينين دائما وأن المطلوب دائما هو الصمت والتزام الهدوء والابتعاد عن المظاهرات والاحتجاج أو المعارضة ...

من هذا الموقف الفاشيّ المحلى والموقف الأمريكي الصهيوني تجاه المقاومة الإسلامية السلمية أو المسلحة [مما يصفونه بأنه خطر إسلامى مشترك ويصمونه بالإرهاب الذى يسعون جميعا القضاء عليه].. من هذا الموقف المشترك يمكن فهم سياسة الضربات الوقائية أو الاستبقاية .. ولا تخرج الحملات الأمنية المحلية التى وصفْتُها بالفاشية .. كما لا تخرج الحملات والحروب الأمريكية فى العراق وأفغانستان .. والحروب والغارات العسكرية الإسرائية الإسرائية على جنوب لبنان وعلى غزة [الآن] .. عن كونها إتجاه واحد يعمل بشراسة وإصرار على ضرب الإسلام نفسه كعقيدة مقاومة وتحرير، وإخراجه من المعادلة السياسية المحلّية والعالمية إلى الأبد ..

الآن (وأنا أكتب هذه المقالة) أستمع من فضائية الجزيرة إلى خبر: [إنفجار عبوة ناسفة كبيرة فى وسط مظاهرة بإحدى مدن العراق خرجت فيه الجماهير ليعلنوا عن غضبهم وشجبهم لمحرقة غزة التى تواصلها إسرائيل على السكان الفلسطينيين منذ صباح يوم السبت 27 ديسمبر 2008] ، ولمن يتساءل: ما هو معنى هذا الخبر ؟ وما علاقة ذلك بالموضوع ؟ أقول: معناه أن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية ذات الوجود المكثف فى العراق ترفض حتى التظاهر التضامنيّ مع

الشعب الفلسطيني المسلم المنكوب .. وبالتالى فإن الإنفجار هو جزء من عمليات الترويع وفرض الصمت على كل مسلم يدعو إلى المقاومة أو مساندتها ...! والمنظومات الفاشية المحلية لا تفعل شيئا بعيدا عن هذا عندما تستبق الأحداث وتلقى سلطاتها الأمنية القبض على القيادات االثورية حتى لا تمكّنها من تنظيم مظاهرات إحتجاجية فى هذا الإتجاه .. وإذا اندلعت مظاهرات طلابية فى الجامعات تحبسها داخل الأسوار وتمنعها من الخروج إلى الشوارع للتعبير عن الاحتجاج أو الدعوة إليه.. وإذا لزم الأمر فسوف تغلق الجامعات إلى أجل غير مُسمّى .. وهكذا يفعلون ...!!

وهكذا تتآزر توجّهاتهم وإجراءاتهم، وتتوحد أهدافهم وأولويّاتهم .. وأحسب أن استهداف الإسلام المقاوم على رأس هذه الاولويات لأن إخماد فاعلية هذا الدين هو الضمان الأكيد لنجاح المخططات الإمبريالية وتصفية القضية الفلسطينية .. واستمرار الطّغم الفاسدة المستبدة لتتحكم فى هذه الأمة العربية والمسلمة ...

ملحمة فلسطين:

نستطيع أن نقول مطمئنين أن النضال الوطني في فلسطين قد انطلق من قواعد اسلامية مؤكّدة .. ولصديقي الدكتور عادل حسن غنيم أستاذ التاريخ الحديث ومؤرخ الحركة الوطنية الفلسطينية عدد من الكتب والدراسات المنشورة في هذا الموضوع .. وأحسب أنه أول من لفت النظر إلى الدور الرائد للشيخ عز الدين القسام وإلى حركته الإسلامية المبكرة في تحرير فلسطين وهى الحركة المجاهدة النموذج: لأنه هو نفسه سوري وقد جمع حوله ثلّة من المجاهدين من سوريا ومصر وفلسطين ومن بلاد عربية أخرى .. حاربوا المخطط الصهيوني ببسالة نادرة فى قتال متواصل بلا تردد حتى استشهدوا جميعا .. ثم تابعه في هذا الاتجاه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين .. التى تآزرت جهوده مع القيادات الإسلامية في مصر لتجنيد الفدائيين المتطوعين الذين دوخوا الجيش الصهيوني في فلسطين وهزموه في معارك بطولية كثيرة .. قاتلوا حتى آخر رمق .. وهم الذين دافعوا عن الحدود المصرية في العريش فأوقفوا زحف القوات الاسرائيلية بقيادة

إسحاق رابين قبل أن يبدأ تنفيذ الهدنة المشئومة .. وهذه حقائق سوف يكشف عنها التاريخ عندما تعاد كتابته من وثائقه المُغيّبة .. وقد كان لى شرف الاستماع الى هذه الواقعة بتفاصيلها ساعة بساعة من أبطالها المجاهدين قبل أن يودّعوا هذه الدنيا وأخص بالذكر منهم الفدائيّ المجاهد فوزى صالح فارس .. ولطالما نصحت بعضهم أن يكتب عن هذه الحقائق ويبيّنها للناس .. ولكن ماذا تفعل مع أناس احتسبوا أجرهم عند الله وحده وقد زهدوا في متاع الدنيا وشهرتها .. وتوجّهوا بأشواقهم إلى الآخرة وجنّتها ؟!..

هذا الدور الإسلامي في الدفاع عن أرض فلسطين هو الأبرز والأعمق أثرا بعد أن ثبت أن طرح "أسلو" طرح عقيم وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .. لذلك تعتمد المقاومة الاسلامية أسلوب الاقتحام والشهادة ولا يقبل الفلسطينيون على الشهادة في سبيل زعيم أو راية أو أى فكرة أخرى .. فلحظة الاستشهاد لحظة فارقة بين عالم الحياة وعالم الموت .. ولو عاد الشهيد ليصف لنا مشاعره لحظة استشهاده لقال بلا تردد: "عند هذه اللحظة الفاصلة لم يكنِ ملْء عقلى وروحى سوى حقيقة واحدة انبثق نورها في كياني كله ألا وهي لقاء الله وجنته" ...

يعبر عن هذه الحقيقة المفكر الاسلامي العظيم على عزت بيجوفيتش حيث يقول:"الشعب شأنه كشأن الفرد إذا اعتنق الاسلام وتقبّله يصبح غير قادر على الحياة أو الموت في سبيل أي فكرة أخرى سوى الإسلام .. ولا من أجل مجد دولة أو حزب .. لأنه في أعماق مشاعره يرى في هذا اللون من التضحية نوعا من الوثنية ينفر منها ضميره .. إنما يقبل المسلم على الموت فحسب إذا كان في سبيل الله ونصرة الإسلام وأرض الإسلام وفيما عدا ذلك يتجنب أرض المعركة".

خلاصة: هناك سمات مشتركة بين المجتمعات المسلمة تتجلى واضحة عندما يتعرض وجودها للخطر إذ تستنفز طاقتها النضالية وتلتصق بالجهاد والقرآن .. يتبلور هذ الموقف في شعارات تتردد على ألسنة المسلمين من أقصى الارض إلى أدناها تسمعها من الفلبينين في جزرهم

النائية ومن الشيشانين في جبال القوقاز .. ومن الافغان والبوسنويين والكوسوفيين .. كما تسمعها الآن من المسلمين في فلسطين .. كذلك تتسم القوى العدوانية بسمات مشتركة هي الأخرى لا تخطئها عين الباحث اليقظ نوجزها فيما يلي :

نزعة عنصرية استعلائية تضخّم الذات إلى درجة القداسة وتحطّ بصورة الأغيار إلى أدنى درجات الوجود حتى لتخرجهم من المنظومة الانسانية الى درجة البهائم أو الأشياء، [تذكّر مقولة رامسفيلد عن أسرى المسلمين فى جوانتانامو.. لقد جرّدهم من كل حقوق الأسرى الشرعية بل من كل حقوق الانسان] ..

وكان الأسبان يعتقدون أنهم قوة المسيح المقدسة التى اختارها الله لتطهير الارض من دنس الاسلام والمسلمين وكان شعارهم في زحفهم الإمبريالي فى جنوب شرق آسيا هو: [أفضل المسلمين هو المسلم المقتول] .. وكان الروس في عهد القيصرية يؤمنون بأن السماء منحتهم رسالة حماية الأرثوذكية (الدين الوحيد الصحيح على هذه الأرض)، .. وليس للمسلمين في إمبراطريتهم القيصرية إلا خيارين: أن يتنصّروا أو تصبح دماؤهم وأرضهم وأعراضهم حلالا لجنود المسيح .. وقد ظلّت فكرة استئصال المسلمين و التخلّى عن إسلامهم هي الخيار الوحيد طوال الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ...

أما الصرب ففي أساطيرهم الدينية أنهم أبناء السماء وأنهم أصحاب رسالة مقدسة [لتطهير الأرض من الإسلام والمسلمين] .. وهذا ما فعلوه في البوسنة وكوسوفا تحت شعار "التطهير العرقي" وهو في حقيقته استئصال ديني ...

ويؤمن اليهود الصهاينة في أساطيرهم الدينية أنهم شعب الله المختار وأن فلسطين حق ديني وتاريخي لهم من دون البشر .. كما يؤمن اليمين الأمريكي المتطرف أنهم أسمى العناصر البشرية وأن الله قد اختصهم بالأرض والقوة والرخاء والعلم الأسمى .. كما اختصهم بقيادة العالم وتأديبه .. وحمْل الشعوب على اعتناق ثقافتهم وقيمهم والتخلى عن جميع خصوصياتهم الثقافية وثرواتهم لهذا الجنس الأعلى من البشر .. هذا الطراز من الناس هو الذي كان يحكم أمريكا

خلال الأعوام الثمانية التى تنتهى بنهاية هذا الشهر (ديسمبر 2008) مخلّفة وراءها أسوأ فترة تاريخية مرّت بأمريكا والعالم .. فقد أحدثت القوات العسكرية الأمريكية الغاشمة دمارا هائلا فى بلاد العرب والمسلمين .. وبسبب سياستها الخارجية ونظرتها الإستعلائية إكتسبت أمريكا عداءً كل شعوب العالم .. وبسبب سقوطها الأخلاقي، والتحام مصالحها الأنانية مع الأنظمة الاستبدادية فى بلادنا، وبمساندتها المستفذّة للعدوان الصهيوني المتواصل على الشعب الفلسطيني فقدت أمريكا إحترام العالم وثقته فى النموذج الديمقراطى الذى ظننّا فى يوم من الأيام أنها تمثله .. وهى تفقد الآن ثقة العالم كله بما فى ذلك ثقة أصدقائها الأوربيين لما ظهر من سوء إدارتها المالية وفساد مؤسساتها الإقتصادية التى أوقعت العالم فى أسوأ كارثة إقتصادية لا يعلم إلا الله وحده متى تنتهى، ولا قدر الخراب والتعاسة التى ستحدثه.. وكان حذاء الصحفيّ العراقى الذى قذف به فى وجه الرئيس بوش أصدق تعبير عن حالة الكراهية الشاملة لعهد بوش الإجراميّ المدمّر وجنونه الإمبرياليّ .. وكأن التاريخ الذى عوّدنا أن يكنس الطّغاة فى ترابه عندما تحين نهايتهم قد فضّل الحذاء مكنسة له فى هذه المرّة لحكمة يعلمها الله .. وقد تتبيّن لنا أسرارها فى قادم الأيام ...!!

نرجع من هذا الاستطراد الذى فرضته ضرورة الأحداث المتلاحقة على الساحة الإعلامية لكى نؤكد فى سياق موضوعنا الأساسي أن القوى الإمبريالية العدوانية كلها تشترك جميعها في تبنيّ سياسة استعمارية إستيطانية إحلالية (بدرجات متفاوتة) تجاه الشعوب المسلمة وهي سياسة مدعمة بقوانين ونظم وإجراءات قمعية وأساليب في التنفيذ متشابهة .. من أبرزها:

السعي الحثيث للقضاء على الهوية الإسلامية وطمس معالمها الثقافية والحضارية بوسائل عديدة منها : محاربة القرآن والشريعة .. وتشويه سمعة نبيّ الإسلام وتاريخ الإسلام وحضارته .. والتهكم على الممارسات الدينية للمسلمين .. والسخرية من المفكرين والدعاة الإسلاميين .. وإثارة الشبهات حول أشخاصهم ومحاولة تلويث حياتهم الشخصية بإشاعة الأكاذيب والافتراءات والمبالغات .. وبتحريف أقوالهم وتصريحاتهم عن مواضعها وسياقاتها .. وللمفترين والمحرّفين فنون وحيل متقنة الصنع لا حصر لها، تساندهم منابر إعلامية وصحف رسمية محلية وعالمية ،

ترى فى الوعى الديني والالتفاف حول الإسلام كمشروع للإنقاذ والتقدم خطرا على النُّخب العلمانية السلطوية التى يعشش فيها الفساد والاستبداد والكرهية العميقة للإسلام ...

ولكنى أقول [وأنا على يقين]أن الإسلام ليس فريسة سهلة كما يظنون فهو في أحلك الظروف وأشدها سوءا، وتحت مطارق القمع والإرهاب والمذابح يظل قادرا على مواصلة وجوده وحياته .. ربما في أشكال وصور غير مألوفة .. حتى ليبدو وكأنه قد تلاشى من الساحة المنظورة .. ولكنه في واقع الأمر يحيا حياة جُوّانية من نوع مختلف .. معنى هذا أن الاسلام قد يغيب عن حركة التاريخ البرّاني الظاهر ومع ذلك يستمر في تاريخه الجواني يتشكل وفق آلياته الخاصة .. في هذه الحقيقة التى رصدتُها على مرّ التاريخ تكمن قوة الإسلام ويتجلى خطره الحقيقي على المخططات الإمبريالية الطامعة في أرضه وثروات بلاده .. ولا ينبع خطر الإسلام مما ينسبون إليه من إرهاب مزعوم .. فالإسلام حرب على الإرهاب والطغيان والإستعباد .. وهو أعظم نصير لحرية الإنسان وكرامة الإنسان .. وأعظم نصير لحرية الشعوب ...

ولكن ما تفعله إسرائيل فى غزة الآن [مساء يوم السبت27 ديسمبر 2008] وأنا أكتب آخر سطر فى هذا المقال هو الإرهاب البربريّ الغاشم بعينه الذى لا مراء فيه .. هذه المجزرة الوحشية التى بلغ ضحاياها من القتلى حتى الآن ما يقرب من ثلاثمائة شهيد و عدد الجرحى والمصابين بإصابات خطيرة أكثر من سبعمائة، وقد بلغ عدد الطائرات العسكرية المغيرة فى أول يوم أكثر من 150 طائرة (على شعب أعزل) إستهدفت إلى جانب المقارّ الأمنية والإدارية المدنيين فى منازلهم ومساجدهم فقتلت ضمن من قتلت مجموعة من الأطفال فى أحد المساجد، وحرصت القوات الإسرائيلية على أن يصاحب توقيت الغارات الأولى فترة خروج التلاميذ من المدارس لتوقع أكبر عدد من الإصابات بينهم .. وتستمر المجزرة تجرى أمام أعيننا ونحن لا نحرّك ساكنا كأن الأمر لا يعنينا ...

ويقف أبو الغيط أمام كمرات التلفزة ليصرح بكلام غبي لا يليق برجل دبلماسي (لا أقول عربي ولا مسلم) يقول: [لقد نصحنا الفلسطينيين بتجديد فترة التهدئة بينهم وبين

الإسرائيليين فلم يستمعوا إلى نصحنا .. فإذا كان هناك من لوْم فلا يلوموا إلا أنفسهم ...!! فهل هناك كلام أكثر سقوطا فى ميزان العقل والمنطق ، وأشدّ إجحافا بالحق والواقع من هذا الكلام الذى لا أتصور أن يصدر إلا من شخص يتشفّى بمصيبة أهله وأشقّائه .. وأسأله: متى إلتزمت إسرائيل بالتهدئة خلال الشهور الستة الماضية وهى تواصل حصار القطاع وتمنع عنه الإمدادات والكهرباء والوقود.. وتواصل هجماتها على الضفة الغربية تروّع الآمنين وتلقى القبض على المناضلين ؟؟ متى إلتزمت إسرائيل بالتهدئة المزعومة !!؟؟حتى يبرّؤها أبو الغيط ويلقى بالتبعة كلها على الضحية الفلسطينية .. إنه لشيء عجاب ...!؟

لقد كنت أتصور بدلا من هذا الكلام العجيب أن يطالب أبو الغيط حكومته بترحيل السفير الإسرائيلي من مصر وتعليق العلاقات الدبلماسية معها .. ولا يكتفى فقط باستدعاء السفير المصري من إسرائيل .. وأن يسعى لدى حكومته بوقف ضخ الغاز والبترول (وهو مطلب شعبي ملِحّ)، وكذلك فتح معبر رفح ليسمح بمرور قوافل المساعدات الإنسانية من أطعمة وأدوية ومعدّات طبية وسيارات إسعاف وأطباء متطوعين لإنقاذ إخوانهم، بدلا من أن نجلس مشدوهين مقهورين من الغيظ والحزن أمام شاشات القنوات الفضائية .. وكل هذا داخل فى إطار (أضعف الإيمان) ...!!

يكفينا سذاجة سياسية .. ولنضع حدّا للتلاعب الإسرائيلى برجالنا الذين تستدرجهم وزيرة خارجيتهم (سالومى العصر الحديث) لحفلات المصافحة أمام الكمرات فى المساء، وهى تنوى الغدر بهم فتطلق طائراتها فى صباح اليوم التالى لتلقى بأطنان قذائفها على سكان قطاع غزة الأبرياء .. حتى لتبدو مصر وكأنها متواطئة مع إسرئيل فى حملتها العسكرية على الفلسطينيين .. وسوف يصدق العالم هذا السناريو طالما ظلّت قوات الأمن المصرى تغلق معبر رفح، وتساهم بذلك فى حصار غزة وتجويع أبنائها .. وكأنها تنفذ دورها فى القضاء على المقاومة الفلسطينية والإبادة البشرية المنظمة لسكانها .. فى مشهد يذكّرنا بعمرو موسى أثناء العدوان الصربي على مسلمى البوسنة بينما المجتمع الدولى ينفّذ حظرا على تسليحهم ، حيث أطلق عبارته الشهيرة واصفا الموقف الدولي أدق وصف : [تكتيف ثم إجهاز] ... عار

علينا ألف عار أن نساهم فى تكتيف الفلسطينيين لكى نسهّل على إسرائيل ذبحهم والإجهاز عليهم ...!!

عار على عباس ومن يسانده من الأنظمة العربية والإسرائيلية .. عار وألف عار أن يراهنوا على سقوط المقاومة الإسلامية فى غزة فلن تسقط وسيخسرون الرهان .. كما خسروه من قبل فى مراهنتهم مع أمريكا وإسرائيل فى حرب الجنوب اللبناني خلال صيف عام 2006 .. والله غالب على أمره ...